

(٦) لقد تكفل الله برزق جميع ما دب على وجه الأرض ، تفضلاً منه ، ويعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته ، ويعلم الموضع الذي يموت فيه ، كل ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك .

(٧) وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن في ستة أيام ، وكان عرشه على الماء قبل ذلك ؛ ليختبركم أيكم أحسن له طاعة وعملاً ، وهو ما كان خالصاً لله موافقاً لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولئن قلت - يا محمد - لهؤلاء المشركين من قومك : إنكم مبعوثون أحياء بعد موتكم ، لسارعوا إلى القول : ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا سحر بين .

(٨) ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين العذاب إلى أجل معلوم فاستبطؤوه ، ليقولن استهزاء وتكديباً : أي شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقاً ؟ ألا يوم يأتيهم ذلك العذاب لا يستطيع أن يصرفه عنهم صارف ، ولا يدفعه دافع ، وأحاط بهم من كل جانب عذاب ما كانوا يستهزئون به قبل وقوعه بهم .

(٩) ولئن أعطينا الإنسان منّا نعمة من صحة وأمن وغيرهما ، ثم سلبناها منه ،

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

إنه لشديد اليأس من رحمة الله ، جحود بالنعم التي أنعم الله بها عليه .

(١٠) ولئن بسطنا للإنسان في دنياه ووسّعنا عليه في رزقه بعد ضيق من العيش ، ليقولن عند ذلك : ذهب الضيق عني وزالت الشدائد ، إنه لبطر بالنعم ، مبالغ في الفخر والتعالي على الناس .

(١١) لكن الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء إيماناً بالله واحتساباً للأجر عنده ، وعملوا الصالحات شكراً لله على نعمه ، هؤلاء لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الآخرة .

(١٢) فلعلك - يا محمد - لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب - تارك بعض ما يوحى إليك بما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه ، وضائق به صدرك ؛ خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت ، كأن يقولوا : لولا أنزل عليه مال كثير ، أو جاء معه ملك يصدق في رسالته ، فبلغهم ما أوحيت إليك ؛ فإنه ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك . والله على كل شيء وكيل .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ
﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ يَتَّبِعُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبَ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَاَلنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَّا شَهِدْتُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

(١٣) بل يقول هؤلاء المشركون من أهل «مكة»: إن محمداً قد افترى هذا القرآن؟ قل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فاتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم.

(١٤) فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم -يا محمد ومن آمن معك- لما تدعونهم إليه؛ لعجز الجميع عن ذلك، فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزله الله على رسوله بعلمه وليس من قول البشر، واعلموا أن لا إله يُعبد بحق إلا الله، فهل أنتم -بعد قيام هذه الحجة عليكم- مسلمون منقادون لله ورسوله؟

(١٥) من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومتعها نوذ إليهم ثمرات أعمالهم التي يعملونها وافية، وهم لا ينقصون شيئاً من جزائهم الدنيوي.

(١٦) أولئك ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم يقاسون حرها، وذهب عنهم نفع ما عملوه، وكان عملهم باطلاً؛ لأنه لم يكن لوجه الله.

(١٧) أفمن كان على حجة وبصيرة من

ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام، ويؤيد ذلك برهان ثالث من قبل القرآن، وهو التوراة -الكتاب الذي أنزل على موسى إماماً ورحمة لمن آمن به-، كمن كان همه الحياة الفانية بزینتها؟ أولئك يصدّقون بهذا القرآن، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين تحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزاؤه النار، يردها لا محالة، فلا تك -يا محمد- في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله تعالى بعد ما شهدت بذلك الأدلة والحجج، واعلم أن هذا الدين هو الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدّقون.

(١٨) ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، أولئك سيعرضون على ربهم يوم القيامة؛ ليحاسبهم على أعمالهم، ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين وغيرهم: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم في الدنيا قد سخط الله عليهم، ولعنهم لعنة لا تنقطع؛ لأن ظلمهم صار وصفاً ملازماً لهم.

(١٩) الذين يمنعون الناس عن سبيل الله الموصلة إلى عبادته، ويريدون أن تكون هذه السبيل عوجاء بموافقتها لأهوائهم، وهم كافرون بالآخرة لا يؤمنون ببعث ولا جزاء.

(٢٠) أولئك الكافرون لم يكونوا ليفوتوا الله في الدنيا هرباً ، وما كان لهم من أنصار يمنعونهم من عقابه . يضاعف لهم العذاب في جهنم ؛ لأنهم كانوا لا يستطيعون أن يسمعو القرآن سماع منتفع ، أو يبصروا آيات الله في هذا الكون إبصار مهتد ؛ لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين .

(٢١) أولئك الذين خسروا أنفسهم بافترائهم على الله ، وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة التي يدعون أنها تشفع لهم .

(٢٢) حقاً أنهم في الآخرة أخسر الناس صفقة ؛ لأنهم استبدلوا الدركات بالدرجات ، فكانوا في جهنم ، وذلك هو الخسران المبين .

(٢٣) إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، وخضعوا لله في كل ما أمروا به ونهوا عنه ، أولئك هم أهل الجنة ، لا يموتون فيها ، ولا يخرجون منها أبداً .

(٢٤) مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى والأصم الذي لا يسمع والبصير والسميع : ففريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ، ولا يسمع داعي الله فيهتدي به ، أما فريق الإيمان فقد أبصر

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَذِبُوا أَلْرَأْيَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

حجج الله وسمع داعي الله فأجابه ، هل يستوي هذان الفريقان؟ أفلا تعتبرون وتتفكرون؟

(٢٥) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم : إني نذير لكم من عذاب الله ، مبين لكم ما أرسلت به إليكم من أمر الله ونهيه .

(٢٦) أمركم ألا تعبدوا إلا الله ، إني أخاف عليكم - إن لم تفردوا الله وحده بالعبادة - عذاب يوم موعود .

(٢٧) فقال رؤساء الكفر من قومه : إنك لست بمالك ولكنك بشر ، فكيف أوحى إليك من دوننا؟ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أسافلنا وإنما اتبعوك من غير تفكير ولا رؤية ، وما نرى لكم علينا من فضل في رزق ولا مال لئلا دخلتم في دينكم هذا ، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تدعون .

(٢٨) قال نوح : يا قومي أرايتم إن كنتُ على حجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به تبين لكم أنني على الحق من عنده ، وأتاني رحمة من عنده ، وهي النبوة والرسالة فأخفاها عليكم بسبب جهلكم وغروركم ، فهل يصح أن نلزمكم إياها بالإكراه وأنتم جاحدون بها؟ لا نفعل ذلك ، ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يقضي في أمركم ما يشاء .

وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا
 أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ
 قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُهُمْ
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
 أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
 أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا
 لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
 جِدْلَنَا فَأَنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
 إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نَصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
 هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىٰ
 قُلُوبَ إِنَّا أَفْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ
 فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
 وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

(٢٩) قال نوح عليه السلام لقومه : يا قوم لا أسألكم على دعوتكم لتوحيد الله وإخلاص العبادة له مالا تؤدونه إليّ بعد إيمانكم ، ولكن ثواب نصحي لكم على الله وحده ، وليس من شأني أن أطرده المؤمنين ، فإنهم ملاقو ربهم يوم القيامة ، ولكنني أراكم قوماً تجهلون ؛ إذ تأمرونني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني .

(٣٠) ويقوم من يمنعني من الله إن عاقبني على طردي المؤمنين ؟ أفلا تتدبرون الأمور فتعلموا ما هو الأنفع لكم والأصلح ؟

(٣١) ولا أقول لكم : إني أملك التصرف في خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولست بمَلَك من الملائكة ، ولا أقول لهؤلاء الذين تحتقرون من ضعفاء المؤمنين : لن يؤتيكم الله ثواباً على أعمالكم ، فالله وحده أعلم بما في صدورهم وقلوبهم ، ولئن فعلت ذلك إني إذا لمن الظالمين لأنفسهم ولغيرهم .

(٣٢) قالوا : يا نوح قد خاصمتنا فأكثرنا خصومتنا ، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في دعواك .

(٣٣) قال نوح لقومه : إن الله وحده هو الذي يأتيكم بالعذاب إذا شاء ، ولستم بفائتيه إذا أراد أن يعذبكم ؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

(٣٤) ولا ينفعكم نصحي واجتهادي في دعوتكم للإيمان ، إن كان الله يريد أن يضلّكم ويهلككم ، هو سبحانه مالككم ، وإليه تُرجعون في الآخرة للحساب والجزاء .

(٣٥) بل أيقول هؤلاء المشركون من قوم نوح : افتري نوح هذا القول ؟ قل لهم : إن كنت قد افتريت ذلك على الله فعليّ وحدي إثم ذلك ، وإذا كنت صادقاً فأنتم المجرمون الآثمون ، وأنا بريء من كفركم وتكذيبكم وإجرامكم .

(٣٦) وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح -عليه السلام- لمّا حق على قومه العذاب ، أنه لن يؤمن بالله إلا من قد آمن من قبل ، فلا تحزن يا نوح على ما كانوا يفعلون .

(٣٧) واصنع السفينة بحفظنا وبمراى منّا وعلى مرضاتنا ، ولا تطلب مني إمهال هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك بكفرهم ، فإنهم مغرقون بالطوفان . وفي الآية إثبات صفة العين لله تعالى على ما يليق به سبحانه .

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْهِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

(٣٨) ويصنع نوح السفينة ، وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، قال لهم نوح : إن تسخروا منا اليوم لجهلكم بصدق وعد الله ، فإننا نسخر منكم غداً عند الغرق كما تسخرون منا .

(٣٩) فسوف تعلمون إذا جاء أمر الله بذلك : من الذي يأتيه في الدنيا عذاب الله الذي يهيئه ، وينزل به في الآخرة عذاب دائم لا انقطاع له ؟

(٤٠) حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم كما وعدنا نوحاً بذلك ، ونبع الماء بقوة من التنور - وهو المكان الذي يخبز فيه - علامة على مجيء العذاب ، قلنا لنوح : احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً وأنثى ، واحمل فيها أهل بيتك ، إلا من سبق عليهم القول من لم يؤمن بالله كابنه وامراته ، واحمل فيها من آمن معك من قومك ، وما آمن معه إلا قليل مع طول المدة والمقام فيهم .

(٤١) وقال نوح لمن آمن معه : اركبوا في السفينة ، باسم الله يكون جريها على وجه الماء ، وباسم الله يكون منتهى سيرها ورؤسوها . إن ربي لغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده ، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة .

(٤٢) وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها ، ونادى نوح ابنه - وكان في مكان عزّل فيه نفسه عن المؤمنين - فقال له : يا بني اركب معنا في السفينة ، ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق .

(٤٣) قال ابن نوح : سأجأ إلى جبل أتحصن به من الماء ، فيمتنعني من الغرق ، فأجابه نوح : لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمه الله تعالى ، فأمن واركب في السفينة معنا ، وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه ، فكان من المغرقين الهالكين .

(٤٤) وقال الله للأرض - بعد هلاك قوم نوح - : يا أرض اشربي ماءك ، ويا سماء أمسكي عن المطر ، ونقص الماء ونضب ، وقضي أمر الله بهلاك قوم نوح ، ورسست السفينة على جبل الجودي ، وقيل : هلاكاً وبعداً للقوم الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله ، ولم يؤمنوا به .

(٤٥) ونادى نوح ربه فقال : رب إنك وعدتني أن تنجينني وأهلي من الغرق والهلاك ، وإن ابني هذا من أهلي ، وإن وعدك الحق الذي لا خلف فيه ، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم .

قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْحُوحُ
أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ
غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِنِّي أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَنْقُومُ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

(٤٦) قال الله : يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ؛ وذلك بسبب كفره ، وعمله عملاً غير صالح ، وإني أنهاك أن تسألني أمراً لا علم لك به ، إني أعظك لئلا تكون من الجاهلين في مسألتك إياي عن ذلك .

(٤٧) قال نوح : يارب إني اعتصم واستجير بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، وإن لم تغفر لي ذنبي ، وترحمني برحمتك ، أكن من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا .

(٤٨) قال الله : يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منا وبركات عليك وعلى أم من معك . وهناك أم وجماعات من أهل الشقاء سَنُمَتِّعُهُمْ فِي الحياة الدنيا ، إلى أن يبلغوا أجلهم ، ثم ينالهم منا العذاب الموعود يوم القيامة .

(٤٩) تلك القصة التي قصصناها عليك - يا محمد - عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب السالفة ، نوحينا إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا البيان ، فاصبر على تكذيب قومك وإيذائهم لك ، كما صبر الأنبياء من قبل ، إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله .

(٥٠) وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً ، قال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم معبود يستحق العبادة سواه ، فأخلصوا له العبادة ، فما أنتم إلا كاذبون في إشراككم بالله .

(٥١) يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجراً ، ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقني ، أفلا تعقلون فتميزوا بين الحق والباطل ؟

(٥٢) ويا قوم اطلبوا مغفرة الله بالإيمان به ، ثم توبوا إليه من ذنوبكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعاً كثيراً ، فتكثر خيراتكم ، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النعم عليكم ، ولا تعرضوا عما دعوتكم إليه مصرين على إجرامكم .

(٥٣) قالوا : يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعوننا إليه ، وما نحن بتاركي آل هارون التي نعبدها من أجل قولك ، وما نحن بمصدقين لك فيما تدعيه .

(٥٤، ٥٥) ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون بسبب نهيك عن عبادتها . قال لهم : إني أشهد الله على ما أقول ، وأشهدكم على أنني بريء مما تشركون ، من دون الله من الأنداد والأصنام ، فانظروا واجتهدوا أنتم ومن زعمتم من آلهتكم في إلحاق الضرر بي ، ثم لا تؤخروا ذلك طرفة عين ؛ ذلك أن هوداً واثق كل الوثوق أنه لا يصيبه منهم ولا من آلهتهم أذى .

(٥٦) إني توكلت على الله ربي وربكم مالك كل شيء والمتصرف فيه ، فلا يصيبني شيء إلا بأمره ، وهو القادر على كل شيء ، فليس من شيء يدب على هذه الأرض إلا والله مالكة ، وهو في سلطانه وتصرفه . إن ربي على صراط مستقيم ، أي عدل في قضائه وشرعه وأمره . يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

(٥٧) فإن تعرضوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له فقد أبلغتكم رسالة ربي إليكم ، وقامت عليكم الحجة ، وحيث لم تؤمنوا بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ، ويخلصون الله العبادة ، ولا تضرونه شيئاً ، إن ربي على كل شيء

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ إِلَهَتِنَا يَسُوءُ ۖ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ ۖ فَكَيْدُوْنِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلَا
بُعْدًا لِّلْعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۖ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَنْ
نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

حفيظ ، فهو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء .

(٥٨) ولما جاء أمرنا بعذاب قوم هود نجينا منه هوداً والمؤمنين بفضل منّا عليهم ورحمة ، ونجيناهم من عذاب شديد أحله الله بعباد فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم .

(٥٩) وتلك عاد كفروا بآيات الله وعصوا رسله ، وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُدْعَن له .

(٦٠) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخطاً منه يوم القيامة . ألا إن عاداً جحدوا ربهم وكذبوا رسله . ألا بُعْدًا وهلاكاً لِعَادِ قَوْمِ هود ؛ بسبب شركهم وكفرهم نعمة ربهم .

(٦١) وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأخلصوا له العبادة ، فما لكم من إله -بحق- غيره ، هو الذي بدأ خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها ، وجعلكم عُمَاراً لها ، فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم ، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح . إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة ، ورغب إليه في التوبة ، مجيب له إذا دعاه .

(٦٢) قالت ثمود لنبيهم صالح : لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيدياً مطاعاً قبل هذا القول الذي قلته لنا ، أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كان يعبدها آبائنا؟ وإننا لفي شكٍّ مريبٍ من دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده .

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا بِجَنَّتَيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِّمِينَ
﴿٦٧﴾ كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةً
فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

(٦٣) قال صالح لقومه : يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله وآتاني منه النبوة والحكمة ، فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلغ الرسالة وأنصح لكم؟ فما تزيدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير .

(٦٤) ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدل على صدقي فيما أدعوكم إليه ، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها ، ولا تمسوها بعقر ، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عقرها .

(٦٥) فكذبوه ونحروا الناقة ، فقال لهم صالح : استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام ، فإن العذاب نازل بكم بعدها ، وذلك وعد من الله غير مكذوب ، لا بد من وقوعه .

(٦٦) فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود نجينا صالحاً والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا ، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلتهم . إن ربك -يا محمد- هو القوي العزيز ، ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية ، ونجى الرسل وأتباعهم .

(٦٧) وأخذت الصيحة القوية ثمود

الظالمين ، فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا حراك لهم .

(٦٨) كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها . ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه . ألا بُعداً لثمود وطردها لهم من رحمة الله ، فما أشقاهم وأذلهم!!

(٦٩) ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه هو وزوجته بإسحاق ، ويعقوب بعده ، فقالوا : سلاماً ، قال رداً على تحيتهم : سلام ، فذهب سريعاً وجاءهم بعجل سمين مشوي لياكلوا منه .

(٧٠) فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاها به ولا يأكلون منه ، أنكر ذلك منهم ، وأحس في نفسه خيفة وأضمرها ، قالت الملائكة -لما رأته ما بإبراهيم من الخوف- : لا تخف إنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم .

(٧١) وامرأة إبراهيم -سارة- كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام ، فضحكت تعجباً مما سمعت ، فبشرناها على السنة الملائكة بأنها ستلد من زوجها إبراهيم ولداً يسمى إسحاق ، وسيعيش ولدها ، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه ، وهو يعقوب .

(٧٢) قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق متعجبة : يا ويلتا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز ، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر ؟ إن إنجاب الولد من مثلي ومثل زوجي مع كبر السن شيء عجيب .

(٧٣) قالت الرسل لها : أتعجبين من أمر الله وقضائه ؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل بيت النبوة . إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات والأفعال ، ذو مجد وعظمة فيها .

(٧٤) فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه لعدم أكل الضيوف الطعام ، وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب ، ظل يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وإهلاكهم .

(٧٥) إن إبراهيم كثير الحلم لا يحب المعاجلة بالعقاب ، كثير التضرع إلى الله والدعاء له ، تائب يرجع إلى الله في أموره كلها .

(٧٦) قالت رسل الله : يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال في أمر قوم لوط والتماس الرحمة لهم ؛ فإنه قد حق عليهم العذاب ، وجاء أمر ربك الذي قدره عليهم بهلاكهم ، وإنهم نازل بهم عذاب من الله غير مصروف عنهم ولا مدفوع .

قَالَتْ يَوَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا إِلَيْهِمْ فَصَاقِبَهُمْ فَسَحَابًا وَقَالَ هَذَا يَوْمُ عَصِيبٍ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يَمْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

(٧٧) ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ساءه مجيئهم واغتم لذلك ؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله ، فخاف عليهم من قومه ، وقال : هذا يوم بلاء وشدة .

(٧٨) وجاء قوم لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة ، وكانوا من قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء ، فقال لوط لقومه : هؤلاء بناتي تزوجوهن فهن أطهر لكم مما تريدون ، وسماهن بناته ؛ لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم ، فآخشوا الله واحذروا عقابه ، ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي ، أليس منكم رجل ذو رشد ، ينهى من أراد ركوب الفاحشة ، فيحول بينهم وبين ذلك ؟

(٧٩) قال قوم لوط له : لقد علمت من قبل أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة ، وإنك لتعلم ما نريد ، أي لا نريد إلا الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء .

(٨٠) قال لهم حين أبوا إلا فعل الفاحشة : لو أن لي بكم قوة وأنصاراً معي ، أو أركن إلى عشيرة تمنعني منكم ، لحُلْتُ بينكم وبين ما تريدون .

(٨١) قالت الملائكة : يا لوط إننا رسل ربك أرسلنا لإهلاك قومك ، وإنهم لن يصلوا إليك ، فآخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل ، ولا يلتفت منكم أحد وراءه ؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه ، لكن أمرتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك ، إن موعد هلاكهم الصبح ، وهو موعد قريب الحلول .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
 شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَتَقَوْمِ
 أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
 بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
 نَّتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

(٨٢، ٨٣) فلما جاء أمرنا بنزول العذاب بهم جعلنا عالي قريتهم التي كانوا يعيشون فيها سافلها فقلبناها ، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين ، قد صُفِّ بعضها إلى بعض متتابعة ، معلمة عند الله بعلامة معروفة لا تشاكل حجارة الأرض ، وما هذه الحجارة التي أمطرها الله على قوم لوط من كفار قريش ببعيد أن يُمطروا بمثله . وفي هذا تهديد لكل عاص متمرد على الله .

(٨٤) وأرسلنا إلى «مدین» أخاهم شعيباً ، فقال : يا قوم اعبدوا الله وحده ، مالكم من معبود غيره يستحق العبادة ، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم ، إني أراكم في سعة عيش ، وإني أخاف عليكم - بسبب إنقاص المكيال والميزان - عذاب يوم يحيط بكم .

(٨٥) ويا قوم أتمشوا المكيال والميزان بالعدل ، ولا تنقصوا الناس حقهم في عموم أشياءهم ، ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد .

(٨٦) إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم ممّا تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الكسب

الحرام ، إن كنتم تؤمنون بالله حقاً ، فامثلوا أمره ، وما أنا عليكم برفيق أحصي عليكم أعمالكم .

(٨٧) قالوا : يا شعيب أهذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان ، أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟ وقالوا - استهزاء به - : إنك لأنت الحليم الرشيد .

(٨٨) قال شعيب : يا قوم أرايتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ، ورزقني منه رزقاً واسعاً حلالاً طيباً؟ وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمراً نهيتكم عنه ، وما أريد فيما أمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قدر طاقتي واستطاعتي ، وما توفيقي - في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم - إلا بالله ، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة .

وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمُونَكَ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ
 بِبَعِيدٍ ۝٨٩ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
 رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
 وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ
 عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ
 اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 مُحِيطٌ ۝٩٢ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
 سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
 كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝٩٣ وَلَمَّا جَاءَ
 أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ۝٩٤
 كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ۝٩٥ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧

(٨٩) ويا قوم لا تحملنكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله ، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك ، وما قوم لوط وما حل بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان .

(٩٠) واطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ، ثم ارجعوا إلى طاعته واستمروا عليها . إن ربي رحيم ودود لمن تاب إليه وأناب ، يرحمه ويقبل توبته . وفي الآية إثبات صفة الرحمة والمودة لله تعالى ، كما يليق به سبحانه .

(٩١) قالوا : يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ، وإننا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا لست من الكبراء ولا من الرؤساء ، ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رجماً بالحجارة - وكان رهطه من أهل ملتهم - ، وليس لك قدر واحترام في نفوسنا .

(٩٢) قال : يا قوم أعشيرتني أعزُّ وأكرم عليكم من الله ؟ ونبتهم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأتمرون به ولا تنتهون بنهيه ، إن ربي بما تعملون محيط ، لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة ، وسيجازيكم عليها عاجلاً وأجلاً .

(٩٣) ويا قوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقكم وحالتكم ، إني عامل مثابر على طريقتي وما وهبني ربي من دعوتكم إلى التوحيد ، سوف تعلمون من منا يأتيه عذاب يذله ، ومن منا كاذب في قوله ، أنا أم أنتم ؟ وانتظروا ما سيحل بكم إني معكم من المنتظرين . وهذا تهديد شديد لهم .

(٩٤) ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب نجَّينا رسولنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء ، فأهلكتهم ، فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكَبهم ميتين لا حراك بهن .

(٩٥) كان لم يقيموا في ديارهم وقتاً من الأوقات . ألا بُعْدُ لـ «مدین» - إذ أهلكها الله وأخزاها - كما بَعِدَتْ ثمود ، فقد اشتركت هاتان القبيلتان في البعد والهلاك .

(٩٦) ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها - بقلب صحيح - أنها تدل على وحدانية الله ، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه سبحانه وتعالى .

(٩٧) أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه ، فكفر فرعون وأمر قومه أن يتبعوه ، فأطاعوه ، وخالفوا أمر موسى ، وليس في أمر فرعون رشد ولا هدى ، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد .

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ
 الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
 نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي
 النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ
 ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ ﴿١٠٨﴾

(٩٨) يَقْدُمُ فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار، وقُبِحَ المدخل الذي يدخلونه

(٩٩) وَأَتَّبِعَهُمُ الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عَجَّلَهُ لهم فيها من الغرق في البحر لعنة، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار، وبئس ما اجتمع لهم وترادف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

(١٠٠) ذلك الذي ذكرناه لك - يا محمد - من أخبار القرى التي أهلكتنا أهلها نخبرك به، ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد مُحِيت آثاره، فلم يَبْقَ منه شيء.

(١٠١) وما كان إهلاكهم بغير حق، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وفسادهم في الأرض، فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضرر لما جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم آلهتهم غير تدمير وإهلاك وخسران.

(١٠٢) وكما أخذت أهل القرى الظالمة بالعذاب لخالفاتهم أمري وتكذيبهم برسلي، أخذ غيرهم من أهل القرى إذا

ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ومعصيتهم له وتكذيبهم لرسله. إن أخذه بالعقوبة لأليم موجع شديد.

(١٠٣) إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة، ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعاً للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلائق كلهم.

(١٠٤) وما نُؤَخِّرُهُ عنكم إلا لانتها مدة معدودة في علمنا، لا تزيد ولا تنقص عن تقديرنا لها بحكمتنا.

(١٠٥) يوم يأتي يوم القيامة، لا تتكلم نفس إلا بإذن ربها، فمنهم شقي مستحق للعذاب، وسعيد متفضل عليه بالنعيم.

(١٠٦، ١٠٧) فأما الذين شَقُوا في الدنيا لفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم، فالنار مستقرهم، لهم فيها من شدة ما هم فيه من العذاب زفير وشهيق، وهما أشنع الأصوات وأقبحها، ماكثين في النار أبداً ما دامت السموات والأرض، فلا ينقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدة من مكثهم في النار. إن ربك - يا محمد - فعَّال لما يريد.

(١٠٨) وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا الفريق الذي شاء الله تأخيرهم وهم عصاة الموحدين، فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجنة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء غير مقطوع عنهم.

(١٠٩) فلا تكن - يا محمد - في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك ، ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل ، وأنا لموفوهم ما وعدناهم تاماً غير منقوص .

(١١٠) ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة ، فاختلف فيه قومه ، فأمن به جماعة وكفر به آخرون . ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل لخلقه العذاب ، لحل بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين . وإن كفار قومك - يا محمد - لفي شك - من هذا القرآن - مريب .

(١١١) وإن كل أولئك الأقوام المختلفين الذين ذكرنا لك - يا محمد - أخبارهم ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم يوم القيامة ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خبير ، لا يخفى عليه شيء من عملهم . وفي هذا تهديد ووعد لهم .

(١١٢) فاستقم - يا محمد - كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك ، ولا تتجاوزوا ما حده الله لكم ، إن ربكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير ، لا يخفى عليه شيء منها ، وسيجازيكم عليها .

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ هُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ١٠٩
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٍ
وَإِنَّ ١١٠ كَلَامًا لَيُوفِينَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ١١١ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ
الَّيْلِ إِنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ
وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ١١٤ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ١١٥ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ١١٦

(١١٣) ولا تميلوا إلى هؤلاء الكفار الظلمة ، فتصيبكم النار ، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم ، ويتولى أموركم .

(١١٤) وأد الصلاة - يا محمد - على أتم وجه طرقي النهار في الصباح والمساء ، وفي ساعات من الليل . إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة ويمحو آثارها ، والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات ، موعظة لمن اتعظ بها وتذكر .

(١١٥) واصبر - يا محمد - على الصلاة ، وعلى ما تلقى من الأذى من مشركي قومك ؛ فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم .

(١١٦) فهلاً وُجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح ، ينهون أهل الكفر عن كفرهم ، وعن الفساد في الأرض ، لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن ، فنجّاهم الله بسبب ذلك من عذابه حين أخذ الظالمين . وأتبع عامتهم من الذين ظلموا أنفسهم ما مُتّعوا فيه من لذات الدنيا ونعيمها ، وكانوا مجرمين ظالمين ياتباعهم ما تنعموا فيه ، فحق عليهم العذاب .

(١١٧) وما كان ربك - يا محمد - ليهلك قرية من القرى وأهلها مصلحون في الأرض ، مجتنبون للفساد والظلم ، وإنما يهلكهم بسبب ظلمهم وفسادهم .

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُ
 عَلَيْكَ مِن آبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ
 ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الرِّقْلَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

(١١٨) ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام ، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ، فلا يزال الناس مختلفين في أديانهم ؛ وذلك مقتضى حكمته .

(١١٩) إلا من رحم ربك فأمنوا به واتبعوا رسله ، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله ، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أنه خلقهم مختلفين : فريق شقي وفريق سعيد ، وكل ميسر لما خلق له . وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره : أنه سبحانه سيملا جهنم من الجن والإنس الذين اتبعوا إبليس وجنده ولم يهتدوا للإيمان .

(١٢٠) ونقص عليك -أيها النبي- من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك ، كل ما تحتاج إليه مما يقوي قلبك للقيام بأعباء الرسالة ، وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار ، بيان الحق الذي أنت عليه ، وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون ، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله .

(١٢١، ١٢٢) وقل -يا محمد- للكافرين الذين لا يقرؤون بوحداية الله : اعملوا ما

أنتم عاملون على حالتكم وطريقتكم في مقاومة الدعوة وإيذاء الرسول والمستجيبين له ، فإنما عاملون على مكانتنا وطريقتنا من الثبات على ديننا وتنفيذ أمر الله . وانتظروا عاقبة أمرنا ، فإننا منتظرون عاقبة أمركم . وفي هذا تهديد ووعد لهم .

(١٢٣) والله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السموات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله يوم القيامة ، فاعبده -يا محمد- وفوض أمرك إليه ، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر ، وسيجازي كلا بعمله .

﴿سورة يوسف﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة .

هذه آيات الكتاب البين الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهداه .

(٢) إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب ؛ لعلكم -أيها العرب- تعقلون معانيه وتفهمونها ، وتعملون بهديه .

(٣) نحن نقص عليك -يا محمد- أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن ، وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين عن هذه الأخبار ، لا تدري عنها شيئا .

(٤) اذكر -يا محمد- لقومك قول يوسف لأبيه : إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . فكانت هذه الرؤيا بشرى لِمَا وصل إليه يوسف عليه السلام من علو المنزلة في الدنيا والآخرة .

قَالَ يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقُ ۖ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ۖ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِتَقَاتِ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصَحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾

(٥) قال يعقوب لابنه يوسف : يا بني لا تذكر لإخوتك هذه الرؤيا فيحسدوك ، ويعادوك ، ويحتالوا في إهلاكك ، إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة .

(٦) وكما أراك ربك هذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ويعلمك تفسير ما يراه الناس في منامهم من الرؤى مما تؤول إليه واقعاً ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بالنبوة والرسالة ، كما أتمها من قبل على أبويك إبراهيم وإسحاق بالنبوة والرسالة . إن ربك عليم بمن يصطفيه من عباده ، حكيم في تدبير أمور خلقه .

(٧) لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وأدلة تدل على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عن أخبارهم ، ويرغب في معرفتها .

(٨) إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم : إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا ، يفضلهما علينا ، ونحن جماعة ذوو عدد ، إن أبانا لفي خطأ بين حيث فضلهما علينا من غير موجب نراه .

(٩) اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العمران يخلص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم ، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ، وتكونوا من بعد قتل

يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله ، مستغفرين له من بعد ذنبكم .

(١٠) قال قائل من إخوة يوسف : لا تقتلوا يوسف وألقوه في جوف البئر يلتقطه بعض المارة من المسافرين فتستريحوا منه ، ولا حاجة إلى قتله ، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون .

(١١) قال إخوة يوسف - بعد اتفاقهم على إبعاده - : يا أبانا مالك لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنه أخونا ، ونحن نريد له الخير ونشفق عليه ونرعاه ، ونخصه بخالص النصح ؟

(١٢) أرسله معنا غداً عندما نخرج إلى مراعيها يتنعم بأكل الفاكهة وكل ما لذ وطاب ، ويلعب بالاستباق ونحوه من اللعب المباح ، وإننا لحافظون له من كل ما تخاف عليه .

(١٣) قال يعقوب : إني ليلولم نفسي مفارقتي لي إذا ذهبتم به إلى المراعي ، وأخشى أن يأكله الذئب ، وأنتم عنه غافلون منشغلون .

(١٤) قال إخوة يوسف لوالدهم : لئن أكله الذئب ، ونحن جماعة قوية إنا إذا لخاسرون ، لا خير فينا ، ولا نفع يُرجى منا .

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَ
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ
بِدْمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَا مِرَاءَ ۖ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ
أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشَدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

(١٥) فَأَرْسَلَهُ معهم . فلما ذهبوا به وأجمعوا على إلقائه في جوف البئر ، وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك مستقبلاً بفعلهم هذا الذي فعلوه بك ، وهم لا يحسبون بذلك الأمر ولا يشعرون به .

(١٦) وجاء إخوة يوسف إلى أبيهم في وقت العشاء من أول الليل ، يبكون ويظهرون الأسف والجزع .

(١٧) قالوا : يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق في الجري والرمي بالسهم ، وتركنا يوسف عند زادنا وثيابنا ، فلم نقصر في حفظه ، بل تركناه في مأمنا ، وما فارقناه إلا وقتاً يسيراً ، فأكله الذئب ، وما أنت بمصدق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق ؛ لشدة حبك ليوسف .

(١٨) وجاؤوا بقميصه ملطخاً بدم غير دم يوسف ؛ ليشهد على صدقهم ، فكان دليلاً على كذبهم ؛ لأن القميص لم يُمزق . فقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام : ما الأمر كما تقولون ، بل زينت لكم أنفسكم الأمانة بالسوء أمراً قبيحاً في يوسف ، فرأيتموه حسناً وفعلتموه فصري صبر جميل لا شكوى معه لأحد

من الخلق ، وأستعين بالله على احتمال ما تصفون من الكذب ، لا على حولي وقوتي .

(١٩) وجاءت جماعة من المسافرين ، فأرسلوا من يطلب لهم الماء ، فلما أرسل دلوه في البئر تعلّق بها يوسف ، فقال واردهم : يا بشراي هذا غلام نفيس ، وأسراً إخوة يوسف شأنه - وكانوا قرييين منه - وكنتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته ، وقالوا : إن هذه بضاعة استبضعناها ، والله عليم بما يعملونه بيوسف .

(٢٠) وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم ، وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه ؛ وذلك أنهم لا يعلمون منزلته عند الله .

(٢١) ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها ، وهو الوزير ، وقال لامرأته : أحسنني معاملته ، واجعلي مقامه عندنا كريماً ، لعلنا نستفيد من خدمته ، أو نقيمه عندنا مقام الولد ، وكما أنجبنا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يعطف عليه ، فكذلك مكنّا له في أرض «مصر» ، وجعلناه على خزائنها ، ولنعلّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلاً . والله غالب على أمره ، فحكمه نافذ لا يبطله مبطل ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله .

(٢٢) ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيناه فهماً وعِلْماً ، ومثل هذا الجزء الذي جزينا به يوسف على إحسانه نجزي المحسنين على إحسانهم . وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم .

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۖ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ ۖ قَدْ مِّنْ قَبْلِ فُصْدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ ۖ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ ۖ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ
مِنَ كَيِّدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

(٢٣) ودعت امرأة العزيز -برفق ولين- يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها؛ لحبها الشديد له وحسن بهائه، وعلقت الأبواب عليها وعلى يوسف، وقالت: هلم إلي، فقال: معاذ الله أعتصم به، وأستجير من الذي تدعينني إليه، من خيانة سيدي الذي أحسن منزلتي وأكرمني فلا أخونه في أهله، إنه لا يفلح من ظلم ففعل ما ليس له فعله.

(٢٤) ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدثت يوسف نفسه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عما حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك؛ لنُدفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

(٢٥) وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعت تحاول الإمساك به، وجذبت قميصه من خلفه؛ لتحول بينه وبين الخروج فشقت، ووجدت زوجها عند الباب فقالت: ما جزاء من أراد بامرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموعود.

(٢٦) قال يوسف: هي التي طلبت مني

ذلك، فشهد صبي في المهد من أهلها فقال: إن كان قميصه شق من الأمام فصدقت في اتهامها له، وهو من الكاذبين.

(٢٧) وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين.

(٢٨) فلما رأى الزوج قميص يوسف شق من خلفه علم براءة يوسف، وقال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اتهمت به هذا الشاب هو من جملة مكركن -أيتهن النساء-، إن مكركن عظيم.

(٢٩) قال عزيز «مصر»: يا يوسف اترك ذكر ما كان منها فلا تذكره لأحد، واطلبي -أيتهن المرأة- المغفرة لذنبك؛ إنك كنت من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افتراءك عليه.

(٣٠) ووصل الخبر إلى نسوة في المدينة فتحدثن به، وقلن منكرات على امرأة العزيز: امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وقد بلغ حبها له شغاف قلبها (وهو غلافه)، إنا لنراها في هذا الفعل لفي ضلال واضح.

(٣١) فلما سمعت امرأة العزيز بغيبتهن إياهما واحتيالهن في ذمها ، أرسلت إليهن تدعوهم لزيارتها ، وهيأت لهن ما يتكفن عليه من الوسائد ، وما يأكلنه من الطعام ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ليقطعن الطعام ، ثم قالت ليوسف : اخرج عليهن ، فلما رأيته أعظمته وأجللته ، وأخذهن حسنه وجماله ، فجرحن أيديهن وهن يقطعن الطعام من فرط الدهشة والذهول ، وقلن متعجبات : معاذ الله ، ما هذا من جنس البشر ؛ لأن جماله غير معهود في البشر ، ما هو إلا ملك كريم من الملائكة .

(٣٢) قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن : فهذا الذي أصابكن في رؤيتهن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لمتنني في الافتتان به ، ولقد طلبته وحاولت إغراءه ؛ ليستجيب لي فامتنع وأبى ، ولئن لم يفعل ما أمره به مستقبلاً ليعاقبن بدخول السجن ، وليكونن من الأذلاء .

(٣٣) قال يوسف مستعيزاً من شرهن ومكرهن : يا رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة ، وإن لم تدفع عني مكرهن أمل إليهن ، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم .

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوِءًا أَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فاستعصم وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أمْرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَايَتِ لَيُسْجَنَنَّ هُوَ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

(٣٤) فاستجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله . إن الله هو السميع لدعاء يوسف ، ودعاء كل داع من خلقه ، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه ، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم .

(٣٥) ثم ظهر للعزيز وأصحابه - من بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعفته - أن يسجنوه إلى زمن يطول أو يقصر ؛ منعاً للفضيحة .

(٣٦) ودخل السجن مع يوسف فتَيَان ، قال أحدهما : إني رأيت في المنام أنني أعصر عنباً ليصير خمرًا ، وقال الآخر : إني رأيت أنني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا ، إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم الله ، ومعاملتهم لخلقهم .

(٣٧) قال لهما يوسف : لا يأتيكما طعام ترزقانه في حال من الأحوال إلا أخبرتكما بتفسيره قبل أن يأتيكما ، ذلكما التعبير الذي سأعبره لكما مما علمني ربي ؛ إني أمنت به ، وأخلصت له العبادة ، وابتعدت عن دين قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالبعث والحساب جاحدون .

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا
لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي
السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَى تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

(٣٨) واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده ، ما كان لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته ، ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة ، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان .

(٣٩) وقال يوسف للفتيتين اللذين معه في السجن : أعبادة آلهة مخلوقة شتى خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

(٤٠) ما تعبدون من دون الله إلا أسماء لا معاني وراءها ، جعلتموها أنتم وآباؤكم أرباباً جهلاً منكم وضلالاً ، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها ، ما الحكم الحق إلا الله تعالى وحده ، لا شريك له ، أمر ألا تخضعوا لغيره ، وأن تعبدوه وحده ، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه ، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقته .

(٤١) يا صاحبي في السجن ، إليكما تفسير رؤياكما : أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقبي الخمر للملك ، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزاً فإنه يُصلب ويُترك ، وتأكل الطير من رأسه ، قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان وفرغ منه .

(٤٢) وقال يوسف للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه : اذكرني عند سيّدك الملك وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب ، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف ، فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات .

(٤٣) وقال الملك : إنني رأيت في منامي سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع بقرات في غاية الضعف ، ورأيت سبع سنبلات خضر ، وسبع سنبلات يابسات ، يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا ، إن كنتم للرؤيا تُفسرون .

(٤٤) قالوا : رؤياك هذه أخلاط أحلام لا تأويل لها ، وما نحن بتفسير الأحلام بعلمين .

(٤٥) وقال الذي نجا من القتل من صاحبي يوسف في السجن وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف : أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا ، فابعثوني إلى يوسف لآتيكم بتفسيرها .

(٤٦) وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له : يوسف أيها الصديق فسر لنا رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات ، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات ؛ لعلني أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم ؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه ، وليعلموا مكانتك وفضلك .

(٤٧) قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك : تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جاذين ليكثر العطاء ، فما حصدتم منه في كل مرة فادخروه ، واتركوه في سنبله ؛ ليمت حفظه من التسوس ، وليكون أبقى ، إلا قليلاً مما تأكلونه من الحبوب .

(٤٨) ثم يأتي بعد هذه السنين الخصب سبع سنين شديدة الجذب ، يأكل أهلها كل ما ادخرتم لهم من قبل ، إلا قليلاً مما تحفظونه وتدخرونه ليكون بذوراً للزراعة .

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَارْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي
بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ
النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكَ لَكُنْ حَصْحَصَ
الْحَقِّ أَنَا وَدَّتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

(٤٩) ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدة عام يغاث فيه الناس بالمطر ، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة ، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخصب والنماء .

(٥٠) وقال الملك لأعوانه : أخرجوا الرجل المعبر للرؤيا من السجن وأحضروه لي ، فلما جاءه رسول الملك يدعوه قال يوسف للرسول : أرجع إلى سيدك الملك ، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي ؛ لتظهر الحقيقة للجميع ، وتتضح براءتي ، إن ربي عليم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك .

(٥١) قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن : ما شأنكن حين راودتن يوسف عن نفسه يوم الضيافة ؟ فهل رأيتم منه ما يريب ؟ قلن : معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يشينه ، عند ذلك قالت امرأة العزيز : الآن ظهر الحق بعد خفائه ، فأنا التي حاولت فتنته بإغرائه فامتنع ، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله .

(٥٢) ذلك القول الذي قلته في تنزيهه والإقرار على نفسي ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالكذب عليه ، ولم تقع مني الفاحشة ، وأنتي راودته ، واعترفت بذلك لإظهار براءتي وبراءته ، وأن الله لا يهدي من خان الأمانات ، ولا يرشدهم في خيانتهم .

ونبيه

(٥٨)

لطول

(٥٩)

معهم

لكم ؟

(٦٠)

(٦١)

(٦٢)

ليرج

(٦٣)

أخبر